

الجنرال أمام المتراس الأخير

معرفتهم أن نتائج الانتخابات تتحدد في لبنان بموافقة الجميع قبل إجراء الانتخابات، أو برئاسة المجلس النيابي التي يعلم بري أنها تحصيله الحاصل، أو الحصص الوزارية التي يعلم بري وجنبلات أنها ثابتة لا تتزعزع. خوفهما يتعلق بتماسك النظام وشبكة الأمان المحيطة به. وخلف المتراس الأخير، يحتشد وراء الرئيس نبيه بري عدد لا يستهان به ممن يخشون على مصالحهم وأرزاقهم. من النواب الحاليين والسابقين الذين يتخيلون ما سيكون عليه الأمر في حال إجراء الانتخابات النيابية بعد أشهر قليلة من انتخابه رئيساً، فيما الرزحم الرئاسي - الشعبي في أوجه، إلى الضباط والقضاة والمدبرين العامين وحتى رؤساء المجالس البلدية الذين تعاملوا مع عون دائماً باعتبارهم في الموقع الأقوى لجرد مشاركتهم في ديوانية المخاترة أو كزبورة عين الثنية. ولا شك بالتالي في أن هناك من سيستشرون أكثر فأكثر في الأيام القليلة المقبلة، وسيستخدمون كل أسلحتهم للدفاع عما كسبه بعيد إزاحة عون عسكرياً في 13 تشرين الأول 1990.

ما سبق لا يفترض أن يعطي براءة ذمة من أي نوع كان لرئيس تيار المستقبل سعد الحريري. فالقول إن السنيرة ورث شراكة رفيق الحريري وجنبلات وبري في إدارة النظام - الشركة لا يعني أن الحريري ملاك. فالحريري فهم منذ أكثر من عامين التركيبة الحقيقية، وبدأ مزاحمة السنيرة بهدوء للإسماك ببعض المفاصل الأساسية، لكن نفوذه في الإدارة لا يزال سخيلاً مقارنة بالسنيرة الذي فضل بنفسه الإدارة اللبنانية بعد الطائف، ويعلم من عين وكيف ولماذا، وهو إداري ذكي وناجح، فيما تجارب الحريري في الإدارة غاية في السوء. وعليه، في حال كان الحريري صادقاً في نيته تبني ترشيح عون ولا يناور كما يرجح كثيرون أو يستفز السعوديين لإعطائه بعض مطالبه، يمكن زعزعة النظام الحالي عبر انتخاب عون رئيساً أن تعطي الحريري فرصة لتعزيم نفوذه قليلاً، من دون أن يعني ذلك أن أزام الحريري في الإدارة سيكونون أفضل أو أنظف من أزام السنيرة.

أخيراً، يبلغ العونيون في احتفالياتهم غير ملتفتين إلى خطورة انتخاب العماد عون وفق صفقة سياسية تحول دون تحقيق ما وعد بتحقيقه، ولن يعود هناك بعد انتخابه رئيساً أي ذرائع يمكن تقديمها لعدم تحقيقها. لكن الكثير من المعارضين يبالغون كثيراً على نحو سيئ بمعارضتهم. فوضع الاعتبارات الشخصية في المقدمة، وتفكير كل فرد بمكاسبه الشخصية وخسائره، يحولان دون تقدير كثيرين لأهمية الفرصة المتمثلة في انتخاب عون رئيساً. والأمر هنا لا يتعلق بانتعاش إيمان جمهور لبناني كبير بالبلد فقط، ولا باستثنائية انتخاب رئيس بموجب اتفاق لبناني - لبناني من دون فرض من الخارج، بل بقدرة عون وحده على - محاولة - زعزعة النظام السابق ذكره. فثمة مرشح رئاسي قادر على الركض في حقل الغام، وهناك مرشح شاب ووسيم، وهناك مرشح برضي هذا وذاك. لكن ثمة مرشحاً واحداً ما زال يوحى لكثيرين بقدرته وحده على هزم مسمار النظام. ولا شك في أن أحد الدوافع الرئيسية للتمسك بترشيح عون والإصرار عليه هو رؤية من يرفضون انتخابه رئيساً. حين يعارض بري وجنبلات والسنيرة انتخاب عون رئيساً، فهذا يعني شيئاً وحيداً: يجب انتخاب عون رئيساً.

الرئيس بري في حمايته دائماً هو هيكل إداري. عسكري. قضائي. إعلامي. اقتصادي. تشريعي. تنفيذي. إنمائي لا يمكن تحريك واحد من حجارته من دون موافقة مفاتيحه الثلاثة، سواء كانوا داخل الحكومة أو خارجها، كما تبين إبان العهد الميقاتي.

انتخاب النائب سليمان فرنجية رئيساً يحرك الركود السياسي قليلاً، لكنه لا يهدد النظام. فهو من «عظام رقبته». أما انتخاب العماد عون رئيساً فيتمثل تهديداً غير مسبوق له. وما يقوله النائب إبراهيم كنعان مثلاً واضح في اعتباره انتخاب عون ليس إلا الخطوة الأولى - لا الأخيرة - في مسيرة إعادة التوازن إلى السلطة. وهو يرى أن إعادة التوازن هي أقل المطلوب، فيما «الطموح هو تحقيق ما ينظره الرأي العام منا من تغيير وإصلاح». فالصفقة الرئاسية يمكن أن تشمل اتفاقاً فظياً وقانون انتخابات نيابية وتوزيع الحقائق الرئيسية وعدة تفاصيل أخرى، لكن لا أحد يمكن أن يقنع نفسه بأن عون سيرتضي بعد انتخابه رئيساً أن تبقى حصته في الإدارة كما هي اليوم: محافظ بعلمك - الهرمل ومدير عام



ثمة مرشح واحد يوحى بقدرته على هزم مسمار النظام



مؤسسة الإسكان. من فبركوا الملفات للمديرين العامين الذين ستمسهم الرئيس إميل لحود لإزاحتهم بذرائع مختلفة، لا يحتملون إقلاق راحتهم مجدداً، علماً بأن العونيين حاولوا خلال السنوات العشر الماضية خلخلة الشبكة المتناسكة لكنهم عجزوا عن كسر حلقة واحدة، فالوصول على حقيبة وزارية كان ممكناً، أما إقالة مدير عام واحد أو محاسبة مدير مصلحة أو إعادة بضعه موظفين لا حاجة لهم إلى منازلهم فكان أمراً ممنوعاً، كونه يعتبر مساً بالنظام وشبكته. أما في حال انتخاب العماد عون رئيساً فسيختلف كل شيء. والأمر هنا لا يتعلق بالمنافسة والمثالية وغيرهما من الشعارات الكبيرة، بل بمن يعين، وكيف، المحافظين والقائمقامين والمديرين العامين ومجالس التفيتش والضباط والضباط وحاكم مصرف لبنان...

خوف بري والسنيرة وجنبلات لا يتعلق بقانون الانتخاب في ظل

سقط الجدار الحريري الشاهق ولم يبق للجمهورية الثانية أو ترويكاريي - السنيرة - جنبلاط وملحقاتهم غير متراس وحيد يحتمون خلفه. على وعسى ينجحون في إيقاف عجلة التاريخ

عسان سعود

حين سقطت دبابات الطائف العماد ميشال عون أرسى نظام سياسي - مصرفي - أمني - إداري يتشارك ثلاثة أقرقاء في إدارته تحت المظلة السورية هم: الرئيس نبيه بري، النائب وليد جنبلاط، والرئيس فؤاد السنيرة. أحاط هؤلاء أنفسهم بشبكة واسعة من رجال الأعمال والضباط والقضاة والإعلاميين والأحزاب اليمينية واليسارية والقومية والعروبية ورجال الدين والسياسيين التقليديين. وفي كل مفصل، كان الرئيس بري أبرز من يحمي هذا النظام. فحين اهتز عام 2005 بادر بري إلى القيام بكل ما يلزم لضمان استمراريته، سواء عبر الدفع باتجاه استقالة الرئيس عمر كرامي وتعطيل محاولته تشكيل حكومة أخرى أو عبر هندسة الاتفاق الرباعي. وما كادت الأوضاع الإقليمية تستقر قليلاً حتى نسج رئيس المجلس بساطاً أطلق عليه اسم «سين سين» يجلس النظام عليه ويمد قدميه. وطوال عشر سنوات لم يكن العونيون ينفذون من طوق السنيرة لاحتراق النظام في ملف ما، حتى يسارع بري إلى عرقلتهم بأدوات مختلفة. وما كان مئات الناشطين المدنيين السياسيين يقتربون من النظام في تظاهراتهم حتى انقض أنصار بري عليهم بالحجارة والعصي للذود عن النظام. والنظام باختصار ليس إلا شركة خاصة لم تكف عن شطف الرمال والواجهات البحرية والجبال ووسط المدن وكل ما في الحسابات المصرفية وجيوب المواطنين، علماً بأن هذه الشركة الحاكمة تحتكر إدارة كل القطاعات المربحة في البلد، من الباطون إلى غاز المطابخ مروراً بالمطاعم. وفي وقت كانت فيه أكثرية المواطنين تزداد فقراً كان النظام ولا يزال يزداد ثراءً، علماً بأن الصناديق المختلفة وتركيبة مجلس الإنماء والإعمار تعكس بوضوح تركيبة النظام، وتبين موازنتها السنوية حجم المبالغ الخيالية التي تتوزع على بضعه جيوب تعرف كيف تشتري بمبالغ سيرة ولاء كثيرين. ولا بد من القول إن النظام الذي ينجح

والأهم، أن السؤال عن بقائك في رئاسة المجلس سيتحول سؤالاً عاماً، ولو من باب النكابة.

فماذا أنت فاعل؟

لا تريد عون رئيساً للجمهورية، وتفكر. في حال توافق الحريري مع حزب الله على القرار، بأن تقاطع الجلسة؟ هل ترى في ذلك فعلاً ديموقراطياً، أم تحاول تجربة الحرد والإحباط وأنت أول عدو لهذه العوارض؟ أم أنك تريد إحراج حزب الله الذي تعرف أنه لن ينزل إلى مجلس النواب من دونك. فلماذا تفعل ذلك مع الحزب لا مع عون نفسه، وأنت الذي يعرف أكثر من أي إنسان على وجه الأرض، أنك بالنسبة إلى الحزب، وإلى المقاومة، حاجة أبدية، وأن الحزب تنازل لك، ومستعد لمزيد من التنازل لك، من أجل حماية بيئة المقاومة المباشرة؟ وأنت تعرف، جيداً، أن حزب الله رفض ويرفض بصورة حاسمة وقاطعة أي نقاش نقدي لأداء فريقك داخل الدولة، أو حركة أمل، ولا يكتفي بذلك، بل يقف عائقاً حقيقياً أمام كل من فكر ويفكر في مواجهته.

أكثر من ذلك أن تفكر، بأنه في حال نزل عون إلى الشارع، فستقبله في الشارع أيضاً، وتطلب من نقابيين عندك الاستعداد لاحتمال النزول إلى الشارع، في حال نزل عون. فما الذي تفكر فيه؟ هل تريد المواجهة على الأرض؟ هل تريد نسف تفاهم فشلت كل قوى الأرض في تحطيمه منذ عشر سنوات إلى اليوم، وكرمي لعيون من؟

ثمة أشياء كثيرة تقال في هذا المقام. لكن، لنختصر ونقل، إن السلطة التي تفترضها ستكون أكثر قوة مع ميشال عون؛ فهو المقتنع بقانون نسبي للانتخابات النيابية. وهو المقتنع بقانون ينظم أعمال مجلس الوزراء فيمنع تحويل مؤسسة القرار الأولى في لبنان إلى إمارة لرئيسها ومن يمثل. وهو المقتنع بإعادة الاعتبار إلى دولة الرعاية، المتنبهة لحلال مواطنيها. وعون قد يكون الوحيد من بينكم جميعاً، من عمل في مؤسسات الدولة منذ صغره، موظفاً وخداماً. وهو يعرف البلاد طوياً وعرضاً، ولم يسمع بقراها ومزارعها وحاراتها عبر الإعلام كحال أغلبية الحاكمين عندنا. وأنت تعرف أنه مع عون، لن تكون في حالة قلق على سياسة لبنان الخارجية، ولا على سياسته الدفاعية، وهو سيكون مواجهاً حقيقياً لمشروع التوطين، وحرصاً أولاً على عودة النازحين السوريين إلى بلادهم. وهو الذي يعشق تحول الجيش إلى قوة قادرة، لكنه يعشق بقاء المقاومة سرّاً وعلناً، ولا يخشاها سلاحاً طائفاً كما يقول كثيرون من عملاء إسرائيل والغرب.

آخر الكلام، إن الخشية على مكتسبات عمرها ثلاثة عقود ليست من عون، بل من الآخرين، ومن أهل المكتسبات أنفسهم، وأنت الأدرى بحال بعض شيعتك وأنصارك!

والسلام

عون سار عكس تيار لبناني وعربي وعالمي، وقرر الوقوف إلى جانب الدولة السورية، ولم تهزه كل أنواع التهويلات والتهديدات. تصرّف عن اقتناع، وهو الذي يعرف أن سوريا لم تعد قادرة على الإتيان بمختار في لبنان. وهذه سوريا التي أنت منها، أيها الأستاذ العلمي.

فماذا أنت فاعل؟

تعرف يا أستاذ نبيه أن استقرار الصيغة السياسية الحاكمة في لبنان صار شرطاً تمثيلاً مسيحياً حقيقياً داخل السلطة، لا تمثيلاً مفروضاً على المسيحيين. وأنت الذي خضت معركة أن يختار الشيعة من يمثلونهم داخل الدولة، ومثلت، كما رفيق الحريري، في وقت ما، التعديل الجوهرى في التمثيل الإسلامي داخل السلطة، كيف لك أن تقبل بأن يستمر إقصاء المسيحيين، من خلال منعهم من اختيار ممثلهم الحقيقيين؟ وكيف لك، وأنت صاحب العبارة المشهورة بأنه في حال قرر الأقطاب المحاصصة، فأنت تريد حصتك، وهي حصة للشيعة، كيف لك أن تقبل بأن لا يأخذ المسيحيون حصتهم من هذه الدولة؟

تعرف يا أستاذ نبيه أن جميع من على أرض هذه البلاد يعرف أن محاولة القفز فوق ما تمثله، أو تجاوزك، في أمور الدولة والقرارات الكبرى والتعيينات وتوزيعات مغانم الدولة، سيدفع الثمن غالياً، وستقلب الطاولة على رؤوس الجميع. ولم تكن تتحمل محاولة من رفيق الحريري أو إميل لحود لتعديل هذه القاعدة. فكيف لك أن تتصور صبر العماد عون على سلطة لم تجاره في شيء، وتمنع عليه حقه في الوصول إلى الرئاسة، وتمنع عليه المشاركة في اختيار قائد للجيش، أو حاكم لمصرف لبنان، أو مسؤول بارز في هذه المؤسسة أو تلك؟ ثم تتم دعوته إلى مزيد من الصبر، وإلى التنازل، ولكن لمن؟ لحفنة من السارقين والباطنيين الذين يحترمون موقعك يا أستاذ نبيه، خوفاً لا اقتناعاً. وأنت تعرف أنهم حاولوا، ولا يزالون، إطاحتك من رئاسة المجلس النيابي، ولم يكن عون يوماً منهم.

فماذا أنت فاعل؟

طيب، أنت تريد عدم وصول عون إلى بعبدا. فكيف تعتقد أنه يمكن مساعدة سعد الحريري لحفظ مكانته؟ هل تقبل بالسخافة التي تقول إن سير الحريري بعون مرشحاً سيقتضي على شعبيته؟ هل دورك، هنا، مراعاة حالة التوتر السائدة لدى جمهور جراء أخطاء الحريري نفسه، أم أن واجبك، كما الآخرون، حماية من تصفونه أنتم، أهل السياسة، بتمثل الاعتدال السني؟ وفوق ذلك، تعرف أن حزب الله محق في رفض عودة الحريري إلى السلطة، فقط من باب المعاملة بالمثل، قبل أي اعتبار سياسي آخر. ولكنك تعرف أن حزب الله تنازل بصورة كبيرة عندما قبل بعودة الحريري إلى رئاسة الحكومة. فلماذا تفعل ذلك بالحريري لا بعون؟ وأنت تعرف، أيضاً، أنه سيكون صعباً إقصاء عون والإتيان بالحريري.



(مروان طحطح)